شرمولا

مجلة أدبية ثقافية فصلية العدد ١٩ صيف 2023

حوار العدد
مع الباحث عبدالله شكاكي

تاريخ كُردستان والبحث عن الذات الكُردية في قصيدة (من أنا؟!) للشاعر جكرخوين

التوثيق ... من أقراص الطين إلى الذكاء الاصطناعي

لوحة الغلاف: أمين عبدو

محتويات القسم العربي

الافتتاحية

. في أهمية التدوين والتوثيق التاريخي (هيئة التحرير) ٥

ملف العدد

. أهمية التدوين والتوثيق ومنهجية البحث التاريخي.. (فارس عثمان) ٨

. التوثيق التاريخي في الأدب.. (خضر حمادي) ١٢

حوار العدد

. مع الباحث عبد الله شكاكي.. (دلشاد مراد) ١٦

دراسات

. جانب من تطور الحكومات والإمارات الكُردية المستقلة.. (د. آزاد أحمد علي) ٢٧

. تاريخ كُردستان والبحث عن الذات الكُردية في قصيدة (من أنا؟!) للشاعر جگرخوين.. (د.ابراهيم ابراهيم).... ٣٣

. التوثيق ... من أقراص الطين إلى الذكاء الاصطناعي.. (ياسر شوحان) ٤٥

. التجربة الاعتقالية الفلسطينية في بعدها التوثيقي.. (فراس حج محمد) ٥٣

كتب (قراءات وإصدارات)

. إصدارات الكتب.. (هيئة التحرير) ٦١

قصة

. ذات الجديلتين.. (جوان زكي سلو) ٦٧

. ثمّ تلاشى صُراخي.. (عبد الحميد دشو) ٧٠

. ضد مجهول.. (د. أيمن الداكر) ٧٣

. لعنة الحب.. (سامح أدور سعدالله) ٧٧

. تكايا الوردة.. (محمد شاكر الخطاط) ٨١

قصائد

. على بعدِ أُمنيةٍ من ينابيعِ اليخضور.. (خضر شاكر) ٨٣

. ليس العيب في اسمي.. (محمد ملوك) ٨٥

. سطور الحب.. (سحر عودة) ٨٧

التجربة الاعتقالية الفلسطينية في بعدها التوثيقي

فراس حج محمد *

مقدّمة:

يشكّل التوثيق بأنواعه المختلفة علامة من علامة الشعب الحيّ الذي يستشعر عظمة ما يقوم به حالياً من فعل حضاريّ، وما قام به أسلافه الذين خلفوا له إرثاً عظيماً، وصله كاملاً متكاملاً، في شتى العلوم والمعارف، وبشتى الأشكال الفنية والتعبيرية، لذلك لا أمة عظيمة دون أن يكون لها تاريخ موثق، صحيح، متواصل من الأجداد إلى الأحفاد، وكلما كان هذا التراث متنوعاً وعميقاً وصالحاً للإشعاع المستمر يكون أكثر دلالة على حيوية هذه الأمة أو تلك الحضارة.

ولو أردت استعراض تجارب الشعوب الحية ذات الحضارات العريقة وأثر التدوين التاريخي التوثيقي في حياتها لَلَزِمني الكثير من الوقت والصفحات المتعددة، ولكن تكفي الإشارة إلى هذا التراث الذي ما زلنا نعتاش على جزء كبير منه، نحن المنتمين إلى الأمة العربية الإسلامية على سبيل المثال، هذا الإرث الثقافي الشامل لكل مكونات الحضارة؛

*شاعر وناقد من فلسطين، مواليد نابلس ١٩٧٣، حاصل على درجة الماجستير في الأدب الفلسطيني الحديث/ جامعة النجاح الوطنية. عمل معلماً ومشرفاً تربوياً ومحاضراً في جامعة القدس المفتوحة، ومحرراً لغوياً في دوريات صادرة عن وزارة التربية والتعليم في فلسطين. ينشر في الدوريات الفلسطينية والعربية، وله أكثر من عشرون مؤلفاً في الشعر والنقد الأدبي والمقالة.

من عربية، وفارسية، وكردية، وبلغات متعددة، وشملت كل مناحي الحياة العقلية والاجتماعية والسياسية، ما يشير إلى حيوية هذه الحضارة وتنوعها وخصب منابعها وتعدد أعراقها وثقافات أبنائها.

يجب ألا يغيب عن البال أن كثيراً من الباحثين كتبوا في ذلك واستوفوه حقه، فيكاد لا تشكل أية كتابة جديدة في هذا الموضوع أية إضافة جديدة، لكن ثمة ما هو لافت للنظر من أجل الإضاءة عليه فيما يخص التوثيق التاريخي للمعتقلات الصهيونية في فلسطين المحتلة، وما تقدمه الحركة الأسيرة الفلسطينية في هذا الجانب. وعلى الرغم من أن الموضوع له الكثير من التشعبات، إلا أنني سأحاول أن أضيء على أهمها فيما يأتي.

السجون الصهيونية في فلسطين:

منذ احتلال فلسطين عام ١٩٤٨ والإعلان عن ولادة الكيان الغاصب، ولدت ظاهرة المعتقلين الفلسطينيين الذي أودعوا في السجون الصهيونية التي ورثتها العصابات الصهيونية عن سلطة الانتداب، لأنها حلت محلها، وكانت بدورها قد ورثت تلك السجون عن فترة الحكم التركي العثماني لفلسطين، فالسجون في فلسطين المحتلة هي في الحقيقة أربعة أنواع: سجون تركية، وسجون إنجليزية، وسجون صهيونية، وسجون عربية (أردنية في الضفة الغربية، ومصرية في قطاع غزة) قبل عام ١٩٦٧، وكلها أصبحت بعد إتمام احتلال كامل فلسطين تحت إمرة سلطة الاحتلال الصهيوني التي كانت تعامل السكان الأصليين بعد تهجير القسم الأكبر منهم بالحديد والنار، فوضعتهم تحت الحكم العسكري المباشر، فاعتقل الكثيرون على كتابة قصيدة، أو على مقال أو بسبب مشاركته في مهرجان، أو على كلمة قالها أحدهم في غرف صف أو اجتماع أو في مسجد أو في سيارة أو في أي مكان، فقد كانت، وما زالت– العيون مبثوثة لرصد حركة كل الذين يشكلون لسلطة الاحتلال شبهة. فكان من المعتقلين الإنسانُ البسيط العادي، كما كان المثقف، والشاعر، والفنان، والمرأة، والطفل، وكبير السن، ويصدق على الشعب الفلسطيني أنه بلد المليون الأسير منذ عام ١٩٤٨ وحتى اليوم، فنادراً ما تجد بيتاً أو أسرة لم يعتقل أحد أبنائها. فالجميع معرضون للاعتقال في أية لحظة، وأحياناً دون أن يكون هناك لائحة اتهام، تحت بند ما يعرف بالحبس الاحترازي، أو «الاعتقال الإداري» الذي يظل فيه السجين تابعاً لرحمة الشرطة أو الشابك أو القاضي في تمديد حكمه كلما أوشك على الانتهاء، بحجة أن هذا الشخص يمثل خطراً أمنياً محتملاً، بناء على حدس ضابط المخابرات المكلف بمتابعة القضية، أو المشرف على المنطقة ضمن نطاق مسؤوليته الأمنية المباشرة.

لقد ازدادت عدد السجون زيادة ملحوظة في فلسطين، وانتشرت بعد اكتمال احتلال كامل فلسطين بعد عام ١٩٦٧ في كامل الأرض الفلسطينية من النقب جنوباً، حيث معتقل أنصار ٣ الصحراوي القاسي، مرورا بسجون الرملة وريمون وعسقلان والدامون، وبلغ عدد السجون ومراكز التوقيف حوالي (٢٧) سجنا ومركز توقيف، وذلك حسب إحصائيات وكالة وفا الرسمية (وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية). عدا عدد من السجون التي أغلقت، أو تلك التي أصبحت تحت سيطرة السلطة الفلسطينية بعد عام ١٩٩٤.

هذه السجون ابتلعت في داخلها كل أطياف الشعب الفلسطيني ولفترات تتراوح بين عدة شهور وبين المؤبدات الطويلة التي قد تصل إلى عشرة مؤبدات، فمن الطبيعي والحالة هذه أن ترى أسرى كثيرين قد مكثوا أربعين سنة متواصلة في السجن، كالمناضلَيْن كريم يونس وماهر يونس، ولك أن تتخيل شخصا أُبعد عن الحياة الطبيعية كل هذه المدة!

أفرزت التجربة الاعتقالية الفلسطينية ظاهرة «عمداء الأسرى»، ويشمل هذا المصطلح كل أسير أتم عشرين عاماً في السجن، وما زال قابعا فيه، وقد قارب عددهم (٣٠٠) أسير، وذلك في إحصائية نهاية عام ٢٠٢٢، عدا ظاهرة المعتقلين الإداريين الذين ناف عددهم في آخر إحصائية رسمية فلسطينية عن الألف أسير فلسطيني، وظاهرة الأسرى الأطفال، والأسرى المرضى بالأمراض المزمنة كالسرطان والسكري وأمراض القلب والضغط وغيرها، إضافة إلى ظاهرة الأسرى الشهداء، وهم مجموعة من الأسرى استشهدوا في السجون، إما نتيجة التعذيب أو نتيجة الإهمال الطبي أو أي أسباب أخرى عارضة، وهؤلاء غالبا ما كانوا محكومين أحكاماً عالية، ولم يتموا محكوميتهم، وموتهم ليس كفيلاً بإنهاء مدة محكوميتهم فسيظللون أسرى. ويشمل كذلك الشهداء الذين يستولي جنود الاحتلال على جثثهم، وقد قتلوا خلال العمليات المسلحة والاشتباك المباشر مع الجنود، فتقوم باعتقالهم أيضاً، وتدفنهم في مقابر يطلق عليها «مقابر الأرقام» أو في ثلاجات الموتى. وتجعلهم ورقة ضاغطة في أي عملية تفاوض مع الفلسطينيين، وخاصة في صفقات التبادل، واستطاع الكيان الغاصب أن يحرز مكاسب نتيجة ذلك.

هذه هي الخطوط العريضة لحال المعتقلين الفلسطينيين في السجون، ولا يتم التعامل معهم كأسرى حرب، كما تنص عليه الاتفاقيات الدولية ذات العلاقة (اتفاقية جنيف الثالثة بشأن معاملة أسرى الحرب المؤرخة في ١٢ آب/ أغسطس عام ١٩٤٩)، بل تتعامل مع الفلسطينيين كإرهابيين، وتطبق عليهم قوانين «محاربة الإرهاب»، ولذلك فهم محرمون من حقوقهم الإنسانية عدا ما يمارس عليهم من تعذيب نفسي وجسدي أفضى بالكثير من المعتقلين إلى الموت أو التسبب بإصابات جسمية بليغة؛ إلى الحد الذي فقد فيه بعض الأسرى النظر في إحدى العينين أو كلاهما، أو التسبب بالصمم، أو بتر بعض الأطراف، أو الإصابة بالجنون والاختلال العقلي، وغير ذلك الكثير من العاهات الدائمة.

لكن الحركة الأسيرة لم تستسلم لها الوضع الكارثي، وناضلت من أجل أن تحسن ظروف المعتقلين داخل السجون، فحققوا إنجازات مهمة، ظلت محل تهديد بسحبها وخاضعة لمزاجية السجان ومرهونة بالحكومات المتعاقبة، إن ما حققوه منها حققوه عبر مسيرة طويلة من النضال داخل المعتقلات بالأساليب والوسائل المتاحة وأهمها الإضراب عن الطعام، أو إجراءات أخرى إدارية داخل المعتقل، من مثل القيام بأعمال الاحتجاج الجماعي داخل المعتقلات بالطرْق على الأبواب أو إرجاع وجبة من وجبات الطعام، أو رفض الخروج إلى «الفورة» أو مقاطعة المحاكم الصهيونية.

مظاهر التوثيق اليومي في حياة الأسرى:

لقد نجح الأسرى في حقيقة الأمر عبر سلسلة من الإجراءات في بناء التجربة الاعتقالية والاستفادة من تراكم تلك الخبرات التي تمتد إلى ما يقارب المائة عام إذا ما أخذنا بالاعتبار أن الفلسطيني كان دائم التعرض للاعتقال منذ العهد التركي، هذا جعل التجربة غنية أولاً بتنوعها الزماني وتنوعها المكاني؛ حسب السجن وظروفه، وتنوعها السياسي الذي يحكم السجناء الفلسطينيين الذين يمثلون أحزابهم وفصائلهم التي انتقلت معهم إلى المعتقلات، فصارت مجتمعات السجن صورة عن المجتمع الفلسطيني بتنوعاتها الأيديولوجية والسياسية، وشكل كل فريق وحدة سياسية كان لها برنامجها التثقيفي الصارم، برنامج يشمل الناحية السياسية وقراءة الأحداث ومتطلباتها، ليتخذ الأسرى حيالها موقفا معيناً يدعمون فيه موقف فصيلهم السياسي في الخارج، ولذلك ظل المعتقلون الفلسطينيون ركناً

أساسياً في أي اتفاق أو خطوة نضالية تجاه المحتل، وكانت هذه القراءات السياسية والتحليلات الإخبارية توثق في كراريس خاصة، وتوزع على الأسرى كافة في السجن الواحد، وأحيانا يقومون بتوصيلها بطريقتهم الخاصة إلى السجون الأخرى. فكان التوثيق السياسي أهم أشكال التوثيق التاريخي داخل السجن.

ومن أجل الضبط الإداري لعناصر التنظيم الواحد كان لا بد من أن يكون هناك «تعليمات إدارية» تصدر في تعاميم إدارية، تشمل تنظيم العمل اليومي للمعتقلين وكيفية التعامل فيما بينهم، وحل الخلافات والنزاعات إن نشبت، وغير ذلك من تراتبية العمل التنظيمي والحزبي وإجراء الانتخابات داخل المعتقلات، وكان كل هذا يصدر أيضاً في كراريس إدارية، ملزمة، وتتضمن معها حزمة من العقوبات لأحد أفراد التنظيم لو خالف تلك القواعد المقررة. لقد شكلت هذه التعاميم الإدارية أيضاً شكلاً آخر من أشكال توثيق يوميات الحركة الأسيرة.

عدا هذين الشكلين من التوثيق التاريخي، كانت الحركة الأسيرة تعقد الجلسات التثقيفية العامة، الأدبية والدينية والتعليمية، وكانت توثق كل هذه الجلسات في محاضر خاصة، لأنها كانت تتم ضمن برنامج محدد خاص بكل فصيل فلسطيني، وتحكمه التوجهات العقدية والأيديولوجية، وكنتُ قد تحدثت عن هذه الجلسات التوثيقية في كتابي «ملامح من السرد المعاصر– قراءات في متنوع السرد» في الفصل الخامس منه المعنون بـ «في داخل السجن».

لقد شاءت الظروف أن ينتقل جزء من هذه الوثائق إلى المكتبات الفلسطينية بعد انسحاب الاحتلال الجزئي من المدن الفلسطينية، فاستولى الفلسطينيون مثلاً على وثائق سجن الجنيد في مدينة نابلس، وكانت وثائق غاية في الأهمية التي ترصد هذه الجوانب، وهي مكتوبة بخط اليد، ومبوبة بطريقة عملية يسهل الرجوع إليها ودراستها، وهي الآن مودعة في قسم أطلق عليه «مكتبة الأسير» في مكتبة بلدية نابلس العامة، ويوجد نسخ مصورة منها أيضاً في مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة التابع لجامعة القدس أبو ديس، ويشمل هذا المركز كل ما أنتجه الأسرى من وثائق مكتوبة في المجالين السابقين أو أي كتابات أخرى ورسائل إضافة إلى أنه يحوي في زواياه كثيراً من مشغولات الأسرى اليدوية من مجسمات أو رسومات وما شاكل ذلك. وتعد هاتان المكتبتان مصدراً مهما لدراسة أعمال الأسرى الفكرية واليدوية والفنية، لما تشتمل عليه من تنوع، يصل إلى آلاف المواد التوثيقية، علاوة على أن لمركز أبو جهاد جهداً بحثياً مهمّاً فيما يخص قضايا الأسرى، فقد عقد مؤتمره السنوي السادس، عام ٢٠١٦، لمناقشة «أهمية توثيق تجربة الحركة الأسيرة الفلسطينية داخل المعتقلات الإسرائيلية».

الكتابة الأدبية وأهميتها التوثيقية:

رافقت الكتابة الأدبية في السجون كل السجناء الكتاب، قديماً وحديثاً، عندنا نحن الفلسطينيين أو عند غيرنا من الأسرى حول العالم، وسبق أن قدمت في هذا الجانب دراسات وكتب، لكن ما يميز التجربة الأدبية في السجون الصهيونية هي تحولها إلى ظاهرة ذات ملامح تكاد تخصها وحدها، والمكابدات التي يعاني منها الأسير خلال الكتابة أو ما بعد الكتابة، وكنت قد أشرت إلى ذلك مع الزميل المحامي حسن عبادي في كتابنا المشتركة «الكتابة على ضوء شمعة»، حيث جمعنا فيه شهادات من (٣٦) أسيراً كاتباً. فتحدثوا عن عوالمهم الخاصة في الكتابة، وكشفت تلك الشهادات كم هو مهم أن يكتب الأسير حكايته.

والملمح الثاني الذي يتسم به تجربة الكتابة الأدبية داخل السجن هو أن نسبة كبيرة من الكتاب الفلسطينيين قد جربوا السجن وكتبوا من داخله ومن

خارجه، من أمثال أبي إقبال اليعقوبي ونوح إبراهيم ومحمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد ومعين بسيسو وغيرهم من جيل النكبة وما سبقها، من الجيل الأول، ثم المتوكل طه، وعبد الناصر صالح، وأسامة المغربي وعائشة عودة ووداد البرغوثي من الجيل الثاني والثالث من الكتاب الفلسطينيين، وصولاً إلى جيل جديد من الكتاب الفلسطينيين الذين لم يكتبوا إلا داخل السجون الصهيونية لأنهم قد ولدوا كتاباً فيها، وأصبحوا يشكلون ظاهرة لافتة، فهم من ذوي الأحكام العالية أولاً، فهم من عمداء الأسرى حالياً، فقد أمضى كثير منهم عشرين عاماً في السجون، وثانياً، اتخذوا من الكتابة عملاً توثيقياً لتجاربهم الشخصية بأسلوب أدبي أو أسلوب تسجيلي يتصف بالأدبية، فقد أنتجت هذه الظاهرة العشرات من الكتاب الذين ما زالوا يقبعون في السجون، ويكتبون من السجون، وتنتشر كتبهم وتشهر وهم في السجون.

تكتسب هذه الظاهرة أهميتها التوثيقية في أنها تلتفت إلى أدق التفاصيل في هذا العالم السري خلف القضبان، فتناولت تلك الكتب كل ما يخطر على البال في هذا العالم المرعب، بدءاً بالعلاقة مع الذات، وكيف يدبر الأسير أمر نفسه في مواجهته للمحققين، وفي العزل الانفرادي إلى تعاملاته اليومية مع نزلاء السجن من أبناء الفصيل السياسي الذي ينتمي إليه أو أبناء الفصائل الأخرى. كما وثقت تلك الكتب الحكاية الشخصية لكل أسير كاتب أتى بما معه من الخارج ليعيد صياغتها، متأنياً متأملاً.

لقد كتب الأسرى الفلسطينيون في كل صنوف الكتابة الأدبية من شعر ورواية، ورسائل وجدانية وخواطر، وقصص قصيرة، وسير ذاتية ويوميات ومذكرات، كما كتبوا البحوث الأكاديمية والدراسات المحكمة، وكتبوا المقال السياسي والنقدي، والمراجعات الفكرية والسياسية، وكتبوا للأطفال، فأغنوا المكتبة الفلسطينية، وأحدثوا نوعاً من التوازن الإبداعي بين

■ كتاب «الكتابة على ضوء شمعة» لحسن عبادي وفراس حج محمد/ ٢٠٢٢م

الكتابة الذاتية الوجدانية أو البعيدة عن آفاق القضية الفلسطينية التي غلبت على الكتاب الشباب خارج السجن، بمن فيهم بعض الكتاب المكرسين من الجيل السابق إذ أخذوا يغوصون في كتاباتهم نحو المعالجات الاجتماعية وما في المجتمع الفلسطيني من أمراض وفساد في ظل السلطة الفلسطينية، فجاءت كتابات السجن لتضيف بمعمارها الفني والموضوعي الشيء الكثير والمميز في هذا الجانب، ليظل الأدب الفلسطيني بكل مراحله حاملا لشواهد على إبداع الكتاب فيما عرف بأدب المقاومة، وهذا ما يكسب هذا الأدب نوعاً من الأخلاقية الإبداعية تجاه الحركة الثقافية الفلسطينية بشكل عام، ولا يخلو هذا الأمر أيضاً من أهمية توثيقية لازمة لرصد حركة الثقافة الفلسطينية وتوجهاتها بين ما هو داخل السجن وما هو خارجه، خاصةً أن هناك فئة من الكتاب لم تجرب السجن، ولم تعرف هذا العالم، ولم تنخرط في العمل الوطني والسياسي لعدم قناعته به فلم تكتب فيه أو بأي أفكار تحمل طابع أدب المقاومة الفلسطيني في كلاسيكيته المعهودة.

تميل هذه الكتب في أغلبها، عدا حالات قليلة، إلى

■ كتاب الأسير راتب حريبات
«ما لي لا أرى الأبيض»

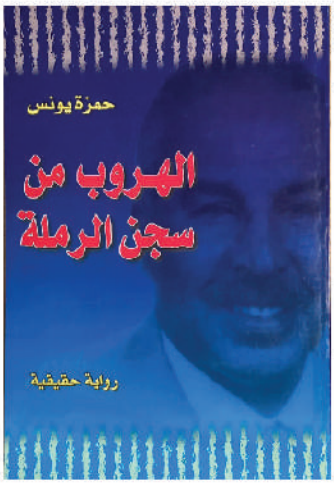

■ كتاب الأسير حمزة يونس
«الهروب من سجن الرملة»

■ كتاب الأسير وليد الهودلي
«ستائر العتمة»

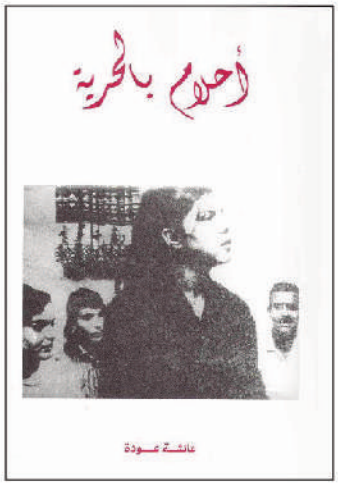

■ كتاب الأسيرة عائشة عودة
«أحلام بالحرية»

البعد التسجيلي المباشر، وتتمحور حول ذات الأسير وقضيته، فيشرح فيها قضيته بالتفصيل، كما فعل مثلا الأسير راتب حريبات فكتب كتابه «ما لي لا أرى الأبيض» حول الإهمال الطبي في السجون، وكما فعل الأسير حمزة يونس في كتابه «الهروب من سجن الرملة» الذي كتبه بعد نجاحه في الهروب من السجن، بعد عدة محاولات.

وثمة أعمال أخرى تناولت ظواهر عامة في التعامل مع السجّان كما هو الحال مع وليد الهودلي وكتابه «ستائر العتمة» الذي يحذر فيه من ظاهرة العصافير في السجن، وهم مجموعة من المتعاونين مع السجان داخل السجن، مكلفون بأساليب ناعمة بسحب اعترافات من الأسرى بعد أن يكون المحققون قد فشلوا من الحصول على تلك الاعترافات تحت التعذيب.

أما الكاتبة عائشة عودة التي كتبت تجربتها المريرة في الاعتقال في كتابيها «أحلام بالحرية» و«ثمناً للشمس» فوثقت فيه تفاصيل التعامل مع الأسيرات الفلسطينيات على وجه التحديد، من خلال ما تعرضت له من تعذيب متعدد الأشكال والأحوال، ولأنها تضيء على عوالم مخفية لا يستطيع الكاتب الأسير أن يكتبها لأنه لم يعشها.

وأهم ما في تجربة المرأة الأسيرة بشكل عام هو تعرض الأسيرات الفلسطينيات للتهديد بالاغتصاب، من قبل المحققين أو ما يتعرضن له من تحرش جنسي من السجينات الجنائيات اليهوديات. لتظل كتابة الأسيرات في هذا الجانب ذات أهمية خاصة، لتصبح وثائق تاريخية على حقب زمنية تعرضت فيها الأسيرات لشتى أصناف التعذيب والقهر والابتزاز.

مجالات دراسة الحالة الاعتقالية الفلسطينية:

حرص مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة على عقد مؤتمره السنوي لمناقشة الحالة الاعتقالية الفلسطينية، ومن المحاور البحثية التي قدمها مؤتمراته السنوية التي يعقدها منذ عام ٢٠١١، فكانت كما يأتي:

إبداعات انتصرت على القيد، وتجربة الإضرابات المفتوحة عن الطعام، والصحافة والترجمة في تجربة الحركة الأسيرة، والتجربة الديمقراطية للحركة الأسيرة في المعتقلات الإسرائيلية، وأثر الرسالة في حياة الأسير الفلسطيني، ومعاناة الأسيرات الفلسطينيات والعربيات داخل المعتقلات الإسرائيلية، والأسير إنسان، واللوائح الداخلية والأنظمة في المعتقلات الإسرائيلية حاجة

وطنية، والنقد في نتاجات الأسرى الفلسطينيين والعرب في المعتقلات الإسرائيلية.

ونظرا لثراء التجربة الاعتقالية وانفتاحها على قضايا كثيرة، فإنه يمكن للباحثين أن يقدموا دراساتهم في هذه الحالة، في أبعادها الإنسانية والسياسية والأدبية، ويمكن أن تدرس المحاور الآتية ضمن هذا العنوان أيضاً: «الأسرى وآفاق من الحرية– تجارب كتابية»، وتكون في القضايا الآتية:

– كيف يتغلب الأسرى وخاصة ذوي الأحكام العالية على الوقت؟

– الحركة التثقيفية داخل المعتقلات، ودور المكتبات داخل المعتقل في تنمية الثقافة وصقل الشخصية.

– بناء علاقات متميزة مع الجانب المتعاطف من الإسرائيليين والأجانب، وقد تحدثت بشكل جيد عن هذا عائشة عودة في كتابيها ثمنا للشمس وأحلام بالحرية.

– الاهتمام بالأسرى ضمن مقرر دراسي في المدارس، وأن يكون هناك مقرر إلزامي في الجامعات الفلسطينية حول الأسرى. الآن يوجد مقرر في جامعة القدس المفتوحة وجامعة بير زيت حول الحركة الأسيرة، وتعميم التجربة على كل الجامعات الفلسطينية، وجعله إلزامياً، كمتطلب جامعة إجبارياً.

– العمل على جمع كل الكتابات الفلسطينية والعربية والعالمية التي تحدثت عن الأسرى الفلسطينيين، وتكون جزءاً من المكتبة الوطنية أو من أقسام مركز أبو جهاد للحركة الأسيرة، ويكون المؤتمر باحثاً ومنقباً عن آليات ذلك، ومنح الجمهور فرصة للمناقشة بعد كل جلسة، لما لهذا النقاش من إثراء للموضوع.

– الأسرى الأطفال تحديدا، إحصائيات، سوء المعاملة، كيف يجب الدفاع عنهم وحمايتهم من الاحتلال ومن ممارسات الاحتلال داخل السجن، والتركيز على الجانب القانوني في ذلك.

– مفاهيم يجب أن تصحح حول الأسرى، هل يطلق عليه معتقل؟ أم أسير؟ أم سجين؟ وماذا يعني ذلك ومخاطر اللغة واستخداماتها، والحذر من وجود مفاهيم خاطئة حول التجربة الاعتقالية في المقررات الفلسطينية.

تكتسب هذه الكتابات أهميتها أيضاً في عدة جوانب أخرى لها ارتباط بعملية التوثيق التاريخي بعموميتها، أشير إلى بعضها فيما يأتي:

١. توفر هذه الكتابات مجالات لدراسة وملاحظة أساليب الكتابة واختلافها بفعل ظروف الكتابة نفسها ما بين كتاب السجن، وكتاب خارج السجن؛ عملاً بمقولات النقد الاجتماعي التي تنظر إلى المؤثرات البيئية والاجتماعية والسياسية فيما ينتج من أدب، فلكي تفهمه كاتباً عليك أن تعرفه إنساناً، إذ لا تكفي النظرة الجمالية النصية لفهم تلك النصوص فهماً عميقاً، لاسيما أنه أدب كتبه مبدعوه من أجل غايات اجتماعية ونضالية، لا من أجل غايات الكتابة الخالصة المعتمدة على الفنية وحدها، فهذه الكتابات لا تعترف بنظرة الفن للفن، بل هي كتابة محملة بالأهداف والرسائل. فلذلك شمن ينظر إليها نظرة جمالية لن تشفي غليله، لأن تركيز أدباءه– بحكم تجاربهم الكتابية التي كانت تجارب أولى– ستكون منصبة على المضمون أولاً وأخيراً، مع تحقيقها بطبيعة الحال للشروط الأولية التي تجعلها داخلة في باب الأدب، ويستطيع الباحث أن يجملها في ثلاثة أمور: الصحة اللغوية والتركيبية، ووضوح التعبير عن المضمون، وتماسك البنية الكلية للعمل وترابط عناصره الشكلية معاً.

٢. يرفد هذا الأدب مقولات السياسة الفلسطينية في ثوابتها التاريخية، ويعززها في الصراع مع المحتل، ويؤكد أنه لا تنازل عن تلك الثوابت التي تشكل إجماعاً وطنياً عند كل الفصائل الفلسطينية، سواء منها العلمانية أم الدينية أم اليسارية، وسيظل هذا عاملاً نفسياً محصنا للذات الوطنية في طموحاتها السياسية، خاصة لدى الأسرى الذين أكسبتهم التجربة الاعتقالية قناعات

راسخة بضرورة التمسك بهذه الثوابت.

٣. يسعى منتجو هذا الأدب إلى الحرية بكل الوسائل المتاحة، فالكتابة في السجن– كما جاء عند الكثيرين منهم في شهاداتهم المشار إليها أعلاه– تتخذ معادلاً فنياً وموضوعياً– يكاد يكون حقيقياً– للحرية ذاتها، وهذا ما يمنح كتاب السجن طاقة شخصية وذاتية وقدرة استثنائية على التحدي ومقاومة ظروف الاعتقال، وإجراءات السجن والسجّان.

٤. يعد هذا الأدب مصدراً مهماً لدراسة «المعجم التاريخي للغة في فلسطين» من خلال رصد ما شاع فيه من مصطلحات خاصة وتتبعها، بوصفها ظاهرة لغوية وتاريخية في آن واحد، تابعة للتجربة الاعتقالية بكل أبجدياتها ودوائرها، وما قد يتسلل إلى هذا الأدب من ألفاظ اللغة العبرية، بحكم التجربة وخصوصيتها، إذ يتعامل معها هذا الأدب تعاملاً طبيعياً، فيكثر من إيرادها، وأشير هنا إلى الجهد البحثي المهم الذي قام به الباحث ناصر دمج؛ ودرس فيه «المُصطلحات التي يستخدمها الأسرى الفلسطينيون داخل المعتقلات الإسرائيلية». إذ تحكم هذا النوع من الدراسة العودة إلى ما كتبه الأسرى، في سياقاته التاريخية المختلفة وفي مصادره كافة المشار إليها فيما سبق من وثائق وكتب وأدبيات متنوعة.

٥. يعرّف هذا الأدب بصورة أو بأخرى على الآخر، وتفكيره، وكيف يمكن التعامل معه، ويزيد من تحصين المجتمع الفلسطيني ضد مؤامرات الاحتلال، داخل السجن وداخله، لذلك تكتسب هذه الكتب أهميتها في المحافظة على الوعي النضالي متوهجاً، ويساهم في توعية الجيب الجديد من المناضلين على أساليب الاحتلال، فيصبحون أقدر على المواجهة لأن عنصر المفاجأة أو المباغتة أو الجهل بهذه الأساليب لم يعد قائماً، ما يسهل على المعتقلين خوض التجربة الاعتقالية بأقل التكاليف.

٦. تشكل هذه الكتابات مجالاً لدراسة الأدب على أسس نفسية، تشير إلى حقبة تاريخية في عمر الشعب والأدب نفسه، ففيها يظهر المزاج العام للشعب عامة، أو للأسرى خاصة، وما يعانونه من خيبات أمل، أو ما قد يتسلحون به من عزيمة، لاسيما وأن «المحتل النقيض» يحرص على قراءاته لهذا الأدب وهذه الوثائق ليخلص بناء عليها إلى استنتاجات قد تهمه في الميدان الحربي أو في الميدان السياسي وتعامله مع المفاوض الفلسطيني، ولذلك يجب ألا يحتوي هذا الأدب على بذور الهزائم النفسية لأنها مداخل طبيعية، يعمل عليها المحتل من أجل أن يهزم الشعب من الداخل، فيصبح شعباً خاضعاً، دون أيديولوجيا صلبة للمقاومة والنضال.

خاتمة:

هذه– بالإجمال– خطوط عريضة قد تساهم في تأطير عملية دراسة كتّاب السجن في فلسطين المحتلة وكتاباتهم من وجهة نظر تاريخية وإبداعية، هذه الكتابات التي ظلت تلعب على وترين مهمين، وهما: توثيق تجربة الاعتقال عبر توثيق الأسير الكاتب حكايته منذ لحظة أسره وحتى تاريخ الكتابة إن كتب وهو في السجن، أو كتابة تقويمية توثيقية على مجمل التجربة الاعتقالية، وذلك عندما يكتب الأسير قصته بعد الخروج من السجن، وفي كلتا الحالتين تخلف هذه الكتابات وثائق تاريخية شاهدة على المرحلة التي عاشها الكاتب الأسير، لا يمكن فهم الحركة الثقافية والحركة النضالية دون أن تكون هذه الكتابات داخلة في صلب الدراسة التأريخية لتاريخ الأدب الفلسطيني في الحقب المتعاقبة، وتفريع دراستها على النحو الذي بينته سابقاً يجعلها أكثر فهما ضمن متغيرات تاريخية وسياسية، إذ كل عملية دراسة بحثية هي في نهاية المطاف عملية للكشف عن أبعاد تجربة إنسانية ذات صلة بالتاريخ السياسي والاجتماعي لمن عاشها.

Şermola

Kovareke Wêjeyî, Çandî, Demsalî ye Hejmar: 19 Havîn 2023

Nivîsandin û Belgekirina Dîrokê

Wêje Bedewiya Dîrokê ye

Cizîrî û Welatperwerî Xelek 1

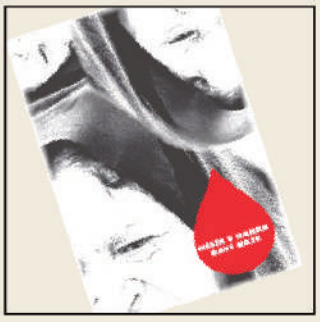

Nirxandina çîroka (Şaîroko) ya Bavê Nazê

Tabloya Qapê: Solîn Osê